سُورَةُ الدُّخَانِ

التّعريف العامّ بالسّورة:

المكي والمدني:

سورة الدّخان كلّها مكّيّة بالاتّفاق، قال ابن عطيَّة: "هِيَ مَكِّيَّةٌ لا أَحْفَظُ خِلافًا فِي شَيْءٍ مِنْها"(1)، وقال ابن عاشور: "وقع فِي الكشّاف استِثْناء قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾، ولَم يَعْزُهُ إلى قائلٍ، ومثلهُ القُرطبِيُّ، وذكرَهُ الكواشِيُّ قَوْلًا، وما عزَهُ إلَى مُعَيَّنٍ"(2).

ترتيب المصحف وترتيب النزول وعد الآي:

هي السّورة الرّابعة والأربعون في التّرتيب المصحفيّ الشّريف، وهو التّرتيب الثّابت، والمُعوّل عليه عند أهل النّظر والتّحقيق، جاءت بين سورتيّ الزّخرف والجاثية، وهي الرّابعة والسّتّون في ترتيبها النّزوليّ، نَزَلَتْ بين السّورتيْن السّابقتيْن(3).

وَهِي خَمْسونَ وتسع آيات فِي الكوفِيّ، وسبع فِي البَصْرِيّ، وستّ فِي عدد الباقِينَ، واختلاف العلماء كان في أربع آيات منها(4).

فضائل السورة:

عند البحث والتّحقيق في الآثار التي وردت في فضلها نجد أنّ الأحاديث التي ذكروها في فضلها لم يصحّ منها شيء، فقد روى التّرمذيّ في فضلها عن أبِي هُريرة ﷺ، قالَ: قالَ رَسولُ اللّه ﷺ: «مَنْ قَرَأ حم الدُّخانَ فِي لَيْلَةٍ أَصْبَحَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ سَبْعونَ أَلْفَ مَلَك»: ثمّ قال: "هَذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لا نَعْرِفُهُ إلّا مِنْ هَذا الوَجْهِ"(5).

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 68.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 275.
(3) دروزة، التفسير الحديث: 4/ 534.
(4) الداني، البيان في عد آي القرآن، ص: 221.
(5) التّرمذي، سنن التّرمذي: بابُ ما جاءَ فِي فَضْلِ حم الدُّخانِ: 5/ 163.

المحور العام للسورة:

محور السّورة يقوم على بيان منهج القرآن الكريم في تحقيق المفاصلة بين الحقّ والباطل

إذا كان محور سورة الزّخرف التي سبقت هذه السّورة يقوم على بيان أثر الاغترار بالقيم المادّيّة الزّائلة في زوال الحضارات وتبديل القيم، فإنّ محور هذه السّورة يقوم على بيان منهج القرآن الكريم في تحقيق المفاصلة بين الحقّ والباطل، وأثر هذه المفاصلة في تحقيق الوعد والوعيد للمؤمنين وللكافرين به، وجاء ذلك فيما يأتي:

أولًا: تبيّن السورة لهم فضل هذا القرآن وفضل اللّيلة التي يُفرق فيها بين الحقّ والباطل.

ثانيًا: بينت السورة لهم أثر الاستعلاء والاستكبار في وقوع الهلاك.

ثالثًا: حذرتهم السورة بعد ذلك من يوم الفصل الذي يُفصل فيه بين جزاء الكافرين وجزاء المتّقين، وأن تبيّن للكافرين جانبًا من العذاب الذي ينتظرهم لا سيّما ما يتعلّق بطعامهم من شجرة الزّقّوم وشرابهم الذي يغلي في بطونهم، وذلك بسبب شكّهم وتكذيبهم بالوحي والرّسالة، وفي المقابل عرضت لجزاء المتّقين ولباسهم وأزواجهم في الجنّة، ثمّ اختتمت بما بدأت به من الحديث عن القرآن ولزوم اتّباعه.

اسم السورة ومناسبة تسميتها:

التهديد بآية من آيات الله في تحقيق الوعيد

وردت تسميتها بسورة (الدّخان) و(حم الدّخان) في كتب السّنّة والتّفسير، فقد ذكر البخاريّ تسميتها بـ(حم الدّخان)[1]، وكذلك فعل التّرمذيّ[2]، وقد ذكر الكثيرون أنّ تسميتها بالدّخان إنّما كان لورود هذه اللّفظة فيها في قوله تعالى ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾، وهذا ليس بمقنع؛ فقد ورد ذكر هذه اللّفظة في سورة فصّلت في قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ

(1) البخاري، صحيح البخاري: باب تفسير سورة حم الدّخان: 4/ 1822.
(2) التّرمذي، سنن التّرمذي: بابُ ما جاءَ فِي فَضْلِ حم الدُّخانِ: 5/ 163.

﴿لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت: 11] ولم تُسمّ باسمه[1].

وقد حاول البقاعيّ الرّبط بين اسمها ومقصودها فقال: "ومقصودها: الإنذار بالهلكة لمن لم يقبل ما في الذّكر الحكيم من الخير والبركة، وعلى ذلك دلّ اسمها (الدخان) إذا تؤمّلت آياته، فإنّه تعالى هدّدهم بآيتيّ العذاب لهم من جهة السّماء، في صورة الدخان، وهدّدهم بالانتقام منهم بالبطشة الكبرى لكذبهم، ومرتكبهم"[2].

ولا شكّ أنّ كلام البقاعيّ في محلّه، فمِحورُ هذه السّورة يقوم على بيان منهج القرآن الكريم في تحقيق الوعد والوعيد للمؤمنين والكافرين به، وبما أنّ جزءًا كبيرًا من السّورة قد أخذ على عاتقه تحذير ووعيد الكافرين بالله وبكتبه وبالرّسالة، فلا شكّ إذن أنّ تسميتها بالدّخان قد جاء متلائمًا ومتساوقًا مع التّحذير من العذاب الذي عُرض بشكل مميّز في هذه السّورة في قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ فتسميتها بسورة الدّخان كان رمزًا للإشارة إلى بدء العذاب للمستحقّين له.

موضوعات السورة وخصائصها:

مَـدارُ السّـورةِ يـدور حـولَ تحذير الكافرين ووعـيـدهـم بالعذاب

موضوع سورة الدّخان كسائر موضوعات السّور المكّيّة وسور ال (حم)، وهو بيان أصول العقيدة الإسلاميّة: التّوحيد، والنّبوة والرّسالة، والبعث، فبُدئت السورة ببيان تاريخ بدء إنزال القرآن في ليلة القدر من رمضان، رحمة من الله بعباده، وأنّ منزله هو مالك الكون كلّه والمخلوقات جميعها، وأنّه هو الإله الحقّ الواحد الذي لا شريك له، غير أنّ المشركين في شكّ وارتياب من أمر القرآن، ثمّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 275.
(2) البقاعي، مصاعد النّظر: 2/ 471.

وعدتهم بالعذاب الشّديد، وبالدّخان المخيف الذي ينذرهم بأسوأ العواقب، ولكنّهم مع ذلك لم يؤمنوا.

وختمت السّورة بنعت وبيان مصير الأبرار ومصير الفجّار، لترغيب الفريق الأوّل وتبشيره بالعاقبة الحميدة، وترهيب الفريق الثّاني وإنذاره بالنّكال والعذاب الشّديد[1].

الخصائص الموضوعيّة لسورة الدّخان:

تميّزت سورة الدخان بموضوعات أفردتها عن غيرها من السّور

أولًا: تميّزت السّورة الكريمة ببراعة الاستهلال، فلا يوجد سورة من أخواتها الحواميم أو غيرها من السّور التي اُستهلّت بالأحرف المقطّعة، تشبهها في مطلعها هذا، وصحيحٌ أنّ سورة الزّخرف التي سبقتها قد شابهتها في وصف الكتاب بأنّه مبين، لكنّها غايرتها في نظمها بعد ذلك.

ثانيًا: تميّزت السّورة الكريمة بتعانق مطلعها مع خاتمتها تعانقًا عجيبًا، بحيث لو أنّه دُمج المطلع والخاتمة مع بعضهما دون بقيّة الآيات لأوجزت محور السّورة ومقاصدها.

ثالثًا: تميّزت السّورة الكريمة بموضوعاتٍ وتفصيلاتٍ لم ترد في غيرها من السّور مثل حديثها عن ليلة القدر، ووصفها بصفات لم ترد في سورة القدر، وكذلك الحديث عن الدّخان المرتقب الذي يغشى النّاس، والحديث عن قصّة موسى مع فرعون من جانب مختلف عمّا في بقيّة السّور وعن اختيار قوم موسى على العالمين، وكذلك تميّزت بحديثها عن شجرة الزّقّوم، وأنّها طعام الأثيم، وأنّ المتّقين لا يذوقون الموت إلّا الموتة الأولى، وغير ذلك.

الخصائص الأسلوبيّة لسورة الدّخان:

تميّزت سورة الدّخان بأساليب تعبير أفردتها عن غيرها من السّور

أولًا: تميّزت السّورة الكريمة بقصر آياتها وقوّة عبارتها، ووجازة ألفاظها، وبلاغة ورقّة أصواتها وجرسها الموسيقيّ، فمعظم فواصلها

(1) الزحيليّ، التّفسير المنير: 25/ 203 - 204.

تنتهي بحرف النّون المسبوق بحروف العلّة بنسبة تصل إلى ثلاثة أرباعها، وبقيّة آياتها تنتهي بحرف الميم المسبوقة بحروف العلّة كذلك بنسبة الربع تقريبًا، ممّا أعطاها هذا الإيقاع العجيب المنسجم مع محورها العام.

ثانيًا: تميّزت السّورة الكريمة ببعض التّقابلات الخاصّة بها مثل قوله تعالى في مطلعها للنّبيّ ﷺ: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾، وقوله له في آخرها: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ ٥٩﴾ [الدخان: 59]، والمقابلة بين قولهم: ﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ﴾، وقوله لهم: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ﴾، وغيرها، وكذلك جاءت المقابلة بين أحوال المتّقين وأحوال الكافرين في الآيات الأخيرة في السّورة الكريمة.

ثالثًا: تكرّرت في السّورة الكريمة لفظة (مبين) خمس مرّات[1]، حيث جاءت وصفًا للكتاب، والدّخان، والرّسول، والسّلطان، والبلاء، وتكرّرت لفظة (العذاب) خمس مرّات[2]، ولا شكّ أنّ هذه الظّاهرة مرتبطة مباشرة بالمحور العامّ للسّورة في تحذير الكافرين ووعيدهم.

رابعًا: تفرّدت السّورة الكريمة بأنساق تعبيريّة فريدة كثيرة خاصّة بها، منها قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾، ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾، ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ﴾، ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾، ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾، ﴿أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ﴾، ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ٢٤﴾ [الدخان: 24]، ﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [الدخان: 29]، ﴿كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ٤٥﴾ [الدخان: 45]، ﴿خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ٤٧﴾ [الدخان: 47]، وغيرها الكثير.

خامسًا: تفرّدت السّورة الكريمة بصيغ واشتقاقات لم ترد في غيرها من السّور، مثل: ﴿يُفۡرَقُ﴾، ﴿فَٱرۡتَقِبۡ﴾، ﴿ٱكۡشِفۡ﴾، ﴿كَاشِفُواْ﴾، ﴿مُعَلَّمٞ﴾، ﴿عَآئِدُونَ﴾، ﴿أَدُّوٓاْ﴾، ﴿وَٱتۡرُكِ﴾ [الدخان: 24]، ﴿فَٱعۡتِلُوهُ﴾ [الدخان: 47]، وغيرها.

سادسًا: تفرّدت هذه السّورة بلفظة لم يرد لها من جذرها أيّ اشتقاقٍ آخر في القرآن الكريم وهي ﴿رَهۡوًاۖ﴾ [الدخان: 24] في قوله ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ٢٤﴾ [الدخان: 24]،

(1) الآيات: 2، و10، و13، و19، و33.

(2) الآيات: 11، و12، و15، و30، و48، و56.

وهذه اللّفظة مرتبطُة بالمحور الرّئيس للسّورة الكريمة، لأنّها تذكّر القارىء بإنجاء الله ﷻ لأوليائه وعباده الذين اتّبعوا وحيه وساروا على هديه.

مناسبة السورة لما قبلها:

سـورة الـدّخـان متّصلة تمامًا سـورة الـزّخـرف مـضـمـونًـا وأسلوبًا

هذه السّورة متمّمة لما تقدّم في سورة الزّخرف، وقد ذكر ابن الزّبير الغرناطيّ ذلك بقوله:"لمّا تضمّنت سورة حم السّجدة وسورة الشّورى من ذكر الكتاب العزيز ممّا قد أشير إليه، استفتح تعالى سورة الدّخان بما يكمل ذلك الغرض وهو التّعريف بوقت إنزاله إلى سماء الدنيا"[1].

وتتجلّى مناسبة هاتيْن السّورتيْن من آل حاميم من وجوه ثلاثة:

أولًا: افتتاح كلتا السّورتين بالقسم بالقرآن العظيم تنويهًا به.

ثانيًا: تشابه خاتمة الزّخرف ومطلع سورة الدّخان، حيث ختمت سورة الزّخرف بالتّهديد والوعيد في قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [الزخرف: 83] فذكر يومًا غير معيّن، ثمّ أبان وصفه في سورة الدّخان في القسم الأول منها حيث أنذر تعالى المشركين في قوله: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾.

ثالثًا: حكاية ما قاله النّبي ﷺ لقومه وما قاله أخوه موسى ﷺ لقوم فرعون، فقال النّبي ﷺ في الزّخرف: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الزخرف: 88]، ثم قال الله له: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [الزخرف: 89]، وحكى الله عن موسى في سورة الدّخان: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الدخان: 22]، وقال موسى: ﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾ [الزخرف: 20 - 21]، والتّشابه واضح في الموقفين[2].

(1) الغرناطيّ، البرهان في تناسب سور القرآن: 301 - 303.
(2) الزّحيليّ، التفسير المنير: 25/ 202 - 203.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والخمسون،
سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 54 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-02-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 54 : المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-02-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8769435 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"